

أدب الخيل في الشعر والنثر والدين

The Horses Literature in Poetry and Religion

أستاذ مشارك - قسم الآداب والنقد والبلاغة
- كلية اللغة العربية - جامعة القرآن الكريم
والعلوم الإسلامية

د. صديق عبدالرحمن إبراهيم موسى

مستخلص:

توصل البحث إلى أن للخيل دور كبير في الحياة الإنسانية وإعمار الأرض والتنمية البشرية، وتشبيد الحضارات وتأسيس الدول والممالك والخلافت، وإرساء قواعد الإسلام، الخيل رمز الحرية والعدالة وشعار الكرامة والسلام، وروح الأمن والاستقرار، وكانت الخيل محل الاهتمام الرسمي والشعبي، فهي رمز الفروسية والتفاخر، وأفخر وأسرع مركوب من الحيوانات، فقد استخدمت في البريد ونقل الخلفاء والنجدة، والإشارة، وجدت الخيل اهتماما من الشعراء والخطباء والكتاب فجعلوها في معاني البيان من المجازات والاستعارات والتشبيهات والكنيات، لموضوعات: المدح والفخر والوصف والفروسية والحماسة والأطلال والنسيب، وجاءت الخيل في القرآن للتباهي والخيلاء والفتنة، وإعداد العدة للغزو والحرب، والركوب والزينة، وبيان أحكام الشرع، وبينت السنة معاني فضل الخيل ورفعته نسلها، وإعدادها للسباق والفروسية والغزو والفخر والخيلاء، وبسط الأمن وإظهار الدين، والمدح وتنفيذ المهام السريعة، والرهان والقوة والتدريب، ويهدف البحث إلى بيان آداب الخيل وإظهار مكانتها لدى الأمم السابقة، قبل ظهور الآليات والتقنيات الحديثة، لقد كانت الخيل عوناً وصوناً لتراث البشرية، وراعياً لموجهات الإسلام، وعزاً للإنسانية، لما رسمته من بصمات في إرساء العدل والتقدم، وتأتي أهمية البحث للاهتمام المتزايد الذي حظيت به الخيل لدى الأدباء في الجاهلية والإسلام، وما عبر عنه الدين الحنيف من تلك الصور والأمجاد، وما تداولته الشعوب من فوائد اجتماعية وإصلاحية للخيل، وكان منهج البحث الاستقراء والوصف والتحليل.

كلمات مفتاحية: الخيل، الشعر، النثر، القرآن، السنة، الإعمار.

The Horses literature in Poetry and religion
Dr.Siddig Abdul Rahman Ibrahim Musa

Abstract:

The research resulted that the horses literature were, a fort of armament, Islam and peace motto, freedom logo, origin of glories, Islamic law protector, humanitarian mortals building, earth reconstruction, and ambassador, the horses literature had been multitude in the poetry and prose as: pride, praise, lisle, the horses had been using in the rhetoric components as eloquence, metaphoric, simile, rebus, horses was the word civilization transmission, ideology, tradition, customs, chivalry, race, telegram, mail, quick deliver, peace, stability, boast, riding, fighting, The research aimed to show the horses status among the previous nations, as fort of armament, the horses value terminated by the modern technology, it was humanitarian builder, Islamic motto, religious victory, generation heritage upkeep, the importance of research droved from its large interest among the writers and poets, in both Arabic and Islamic literature, the research method was extrapolation, description and analytical.

Keywords; horses, poetry, prose, religion, reconstruction

للخيل أمجاد تليدة في تاريخ الأمم وسير سلطانها فهي الدرع الحصين في تأليف كيائها وحفظ بيضتها وعماد خلافتها، فالخيل رمز الحرية وركن العدالة وشعار الكرامة والسلام والإسلام، وروح الأمن والاستقرار، كانت الخيل تمثل القاعدة الكبرى لمنظومة الدفاع والتسلح لدى الشعوب، وهي بمثابة آليات الحرب ومتحركاته في عصرنا الحديث، وقد قامت الخيول بدور عظيم في الماضي وخاصة إعمار الأرض وتنظيم الحياة البشرية وتنميتها، من تأمين البلدان وحماية الثغور، وإقامة الشرائع وصون النظم والقوانين، وتوطيد الحكم ورفع المظالم وحماية الخلافة، فالخيل قوة عظمي لجميع الأمم والمجتمعات البشرية، فهي عتاد الحرب وأصل شوكتها، فالحياة تستقيم بتوظيف الخيل للحفاظ على العدالة، ورعاية أهداف الإنسانية لصيانة المقاصد الشرعية في الإسلام، وكانت الخيل محل الاهتمام ومحط أنظار الناس على المستويين الرسمي والشعبي، فهي رمز الفروسية وشعار الاستغلال، ولقد جرى استخدام الخيل عبر العصور في السلم والحرب ونهضة الدول وكانت أسرع مركوب من الحيوانات وما زالت، فقد استخدمت في البريد ونقل الخلفاء والنجدة، والاتصال السريع، ورد العدو وإرهابه، وفي الظلم والسلب والنهب، ولمكانة الخيل الاجتماعية فقد وجدت اهتماما من الشعراء والخطباء والكتاب فجعلوها في معاني البيان من المجازات والاستعارات والتشبيهات، ومما هو معلوم من البلاغة العربية إن دخول الكلام في مظاهر البيان دلالة على أهميته عند الأدباء لإعطائه الأبعاد المعنوية التي تناسب مقامه، وحفلت الأسفار الأدبية عبر التاريخ بالمعاني البلاغية التي جاء بها الشعر العربي وخاصة في العصر الجاهلي وتقاليده، وفي صدر الإسلام ازداد الاهتمام بالخيل مع بروز الحاجة الملحة لحفظ أركان الدولة لإقامة العدل وصون الدين الإسلامي، وحفلت السير والتفاسير والسنن بتلك المعاني، وما زالت الحاجة ماسة لاستخدام الخيل في رعاية المصالح الإنسانية في كثير من الأمصار وخاصة الأرياف، وفي هذا البحث نقف عند تلك المعاني والمدلولات التاريخية في الشعر والدين، ولقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة ونتائج وتوصيات وزيلته بالمصادر والمراجع، وجاء المبحث الأول بعنوان: الخيل في الشعر والنثر، والمبحث الثاني بعنوان الخيل في القرآن والسنة.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى بيان آداب الخيل وإظهار مكانتها لدى الشعوب والأمم السابقة، قبل ظهور الآليات والتقنيات الحديثة التي قللت من شأنها بعد ريادتها للشعوب، لقد كانت الخيل عوناً وصوناً لتراث البشرية، وراعياً لموجهات الإسلام، ومؤيداً للدين وعزاً للإنسانية، لما رسمته من بصمات في التقدم.

أهمية البحث:

تأتي أهمية البحث للاهتمام المتزايد الذي حظيت به الخيل لدى الشعراء والخطباء في الجاهلية والإسلام، وما أولته السير من رعاية للفروسية في الآداب العربية والإسلامية، وما عبر عنه الدين الحنيف من تلك الصور والأمجاد العريقة، وما تداولته الشعوب من فوائد اجتماعية وإصلاحية للخيل في الحياة الإنسانية.

منهج البحث:

الاستقراء والوصف والتحليل.

الخيال في الشعر والخيال في الشعر والنثر

الخيال وآدابها من المعاني التي جذبت الشعراء وحملتهم لإدخال مدلولاته في الشعر العربي بأساليبه المتعددة وخاصة البيان وفنونه من المجازات والاستعارات والتشبيهات، وكانت العرب إذا أعجبت بالشيء صورته تصويراً بيانياً لإعطائه بعداً معنوياً، ومن هذا المنطلق كانت الخيل مجالاً تطبيقياً لتلك المعاني في قوافي الشعر، وأول ما نقف عنده في هذا الجانب العصر الجاهلي الذي مجد الخيل وجعلها من قيمه وتقاليده وأعرافه ومعتقداته، ويعد هذا العصر من أكثر العصور اهتماماً بالخيال، وأول من نقف معه من الشعراء امرؤ القيس أحد أصحاب المعلقات وأول من قال الشعر العربي.

قال امرؤ القيس

مُطَلَّبُ بنوِاصِي الخَيْلِ، مَعْصُوبُ	الخَيْرُ ما طَلَعَتْ شَمْسٌ وَمَا غَرَبَتْ
إِنَّ الْبَلَاءَ عَلَى الْأَشْقَيْنِ مَصْبُوبُ	صُبَّتْ عَلَيْهِ وَمَا تَنْصَبُ مِنْ أَمِّ
جَرْدَاءُ مَعْرُوقَةُ اللَّحْيَيْنِ سُرْحُوبُ	قَدْ أَشْهَدُ الْغَارَةَ الشَّعْوَاءَ تَحْمِلُنِي
وَلَحْمُهَا زَيْمٌ، وَالْبَطْنُ مَقْبُوبُ	وَقَافُهَا ضَرْمٌ، وَجَرِيْهَا جَذْمٌ
وَالْعَيْنُ قَادِحَةٌ، وَالْمَتْنُ مَلْحُوبُ	وَالْيَدُ سَابِحَةٌ، وَالرَّجُلُ ضَارِحَةٌ
وَالْقَصْبُ مُضْطَرَمٌّ، وَاللَّوْنُ غَرِيبُ	الْمَاءُ مِنْهُمْ، وَالشَّدُّ مُنْحَدِرُ

(1)

هذا الشاعر قدم وصفاً دقيقاً للخيال وظف فيه علم المعاني ليوصل للقارئ أخباراً حية عن بيئة الخيل في زمانه وبين مكانة تلك الدابة، وكانت معاني مفردات الأبيات: نواصي الشعر في مقدمة الرأس، والغارة الشعواء المعركة الحامية، ومعروقة قليلة اللحم، وسرحوب طويل، ولاحت بانت، تجيب من جيب الفر، وجذم سريع، زيم مكتنز، مبوب ضامر، وضارحة نافحة، قاذرة غائرة، ملحوب أملس، والقصب، مضطمر وضاغر، غريب حالك السواد، وموضوع الخيل في الأبيات الفخر والحماسة. جاء في أدب الكاتب في وصف الخيل: إذا أبيض رأسه فهو «أصق» «»، وإذا أبيض قفاه فهو «أقنف» «»، وإذا أبيض رأسه كله فهو «أغشى» «و» «أرخم» «»، فإن شاب ناصيته فهو «أسعف» «»، فإذا أبيضت كلها فهو «أصبغ» «»، فإن كان بأذنيه نقش بياض فهو «أذراً» «و» «الغرة» «ما فوق الدرهم» «و» «القرحة» «قدر الدرهم فما دون؛ فإن سالت غرته ودقت ولم تجاوز العينين فهي «العصفور»؛ فإن دقت وسالت وجلت الخيشوم ولم تبلغ الجحفلة فهي «شمراخ»؛ فإن ملأت الجبهة ولم تبلغ العينين فهي «الشاذخة»؛ «فإن أخذت جميع وجهه غير أنه ينظر في سواد فهي «المبرقة»؛ «فإن رجعت غرته في أحد شقي وجهه إلى أحد الخدين فهو «لطيم» «فإن فشئت حتى تأخذ العينين فتبيض أشفارهما فهو «مغرب»؛ «فإن

١ (ديوان امرؤ القيس ص ٨١)

أدب الخيل في الشعر والنثر والدين

كانت إحدى عينيه زرقاء والأخرى كحلاء فهو أخيف؛ فإن كان بجحفلته العليا بياض فهو أرثم (2) وهذه المعاني تبين الاهتمام بالخيـل
قال طرفة بن العبد

ولقد شهدت الخيل وهي مُغيرة ولقد طعنت مجامع الرِّبَلات
رَبَلاتٍ جُود، تحتَ قدِّ بارع حُلُو السَّمائل، خيرةَ الهَلَكاتِ
رَبَلاتٍ خيلٍ، ما تزالُ مُغيرةً يُقَطِرْنَ من علقٍ على الثَّناتِ

(3)

تحدث الشاعر طرفة وهو أحد أصحاب معلمات العرب، يقول شهدت الخيل وهي مغيرة أي مهاجمة وقد شارك في الحرب والطعان وهنا تكمن أهمية الخيل في خوض المعارك والدفاع عن النفس وقد كانت أسرع دابة في الحروب في ذلك الزمان، ومعنى المغيرة المهاجمة، الربلات مفردا الربلة وهي أصل الفخذ أو اللحم العظيم، السَّمائل مفردا الشميلة وهي الصفة والمزّة، الهلكات مفردا الهلكة وهي الجيفة، العلق الدم، الثَّنات مفردا الثنة وهي شعرات تكون في آخر رجل الفرس، وموضوع الخيل الوصف والفروسية.

قال لبيد بن ربيعة العامري

فبتنا حيثُ أمسينا قريبا على جسداء تنبُحنا الكليبُ
نقلنا سبيهم صرماً فصرماً إلى صرم كما نُقل التَّصيبُ
غضبنا للذي لاقت نفيلُ وخيرُ الطَّالبي الترةَ الغُصوبُ
جلبنا الخيلَ سائلةً عجافاً من الضمرين يخبِطها الضريبُ

(4)

هذا الشاعر المخضرم الذي أدرك الجاهلية والإسلام يفخر في شعره في أيام الجاهلية ويصف كيف أنهم غضبوا وثأروا لما لاقتهم نفيل، ولذلك قال جلبنا الخيل سائلة والخيل لا تسأل ولكن يسأل الفرسان الراكبون عليها فهو ذكر الخيل وأراد الفرسان وهذا مجاز مرسل علاقته المحلية ذكر المحل وأراد من عليه، وجسداء اسم موضع، الكليب الكلاب، الترة الثأر، الضمران جبلان يقعان في بلاد عليا قيس يقال لأحدهما الضمر وللثاني الضائن، الضريب البرد.

قال عمرو بن كلثوم

ترَكنا الخيلَ عاكفةً عليه مُقلِّدةً أَعنَّتْها صُفُونَا
نَقُودُ الخيلَ داميةً كلاها إلى الأعداءِ لاحقةً بُطُونَا
عَلَيْنَا البَيضُ واليَلْبُ اليماني وَأَسِيافُ يَقْمَنَ وَيَنْحِنِينَا

(5)

٢ () ابن قتيبة الدينوري، أدب الكاتب، ت محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، ص ١٣١

٣ () ديوان طرفة بن العبد ص ١٣

٤ () ديوان لبيد بن ربيعة العامري ص ٢٨

٥ () ديوان عمرو بن كلثوم

يقول الشاعر عمرو بن كلثوم وهو من أصحاب المعلقات مفتخرا تركنا الخيل مقيمة على العدو وهي مجهزة لخوض الحرب تحسبا لأي طارئ، وهي صفونا والصافن من الخيل هو الذي يرفع إحدى رجليه، ويضع طرف سنبكه على الأرض، انتظارا لساعة الصفر للانطلاق، وهذه كناية عن الدرجة القصوى للاستعداد، ثم يقول في البيت الثاني نقود الخيل دامية أي مضرجة بالدماء فأن كانت الدماء من الخيل فهذه كناية عن شدة الثبات والشجاعة وقوة الخيل أمام العدو، وإن كانت مضرجة بدماء الأعداء فهذه كناية أيضا عن الفتك بالعدو وإحراق الأذى الجسيم به، فالخيل ذكرت بأوصافها مقابل الشجاعة والثبات وإحراق الأذى بالعدو وكل ذلك جاء في موضوع الفخر وبأسلوب البيان المتمثل في الكناية. جاء في أمثال العرب: لقد كان للمفضل الضبي علاقة بالخلفاء، وكان المنصور ندبه ليعلم ابنه المهدي، فكان يراه أثناء تفرده إلى القصر، وكان يجالسه ويسأله عن أشياء تتصل باللغة والشعر. قال له مرة: صف لي الجواد من الخيل، فقال: يا أمير المؤمنين إذا كان الفرس طويل ثلاث قصير ثلاث رحب ثلاث صافي ثلاث، فذلك الجواد الذي لا يجارى، ثم فسر هذا القول المبهم بقوله: أما الثلاث الطوال فالأذنان والهادي والفخذ وأما القصار فالظهر والعسيب والساق، وأما الرحاب فاللبان والمنخر والجبهة، والصفافية: الأديم والعين والحافر. (6) لقد ولعت العرب بالخيل ووصفها حتى أخذت مكانا عند مجالس الخلفاء لمكانتها.

يقول خدّاش بن زهير

وَنَرَكِبُ خَيْلًا لَا هَوَادَةَ بَيْنَهَا وَنَعْصِي الرِّمَاحَ بِالضِّيَاطَةِ الْحُمْرِ
وَأَنَا لَمَنْ قَوْمٌ كَرَامٌ أَعَزَّةٌ، إِذَا لَحَقَتْ خَيْلٌ بِفُرْسَانِهَا تَجْرِي
وَنَحْنُ إِذَا مَا الْخَيْلُ أَدْرَكَ رَكْضَهَا لَبَسْنَا لَهَا جِلْدَ الْأَسَاوِدِ وَالنَّمْرِ

(7)

الشاعر يفخر في معرض الفروسية عندما قال في البيت الأول نركب خيلا لا هواده بينهما، لا بمجاملة ولا تنازل ولا شفقة بالعدو، وقال في البيت الثاني: وأنا لمن قوم كرام أعزة، إذا لحقت خيل بفُرسانها تجري، ثم يفخر بكرمهم وحلمهم في معاملة العدو من أسرى الحرب إذا ظفروا بهم وهم يفرون على ظهور خيلهم، ويقول في البيت الأخير ونحن إذا ما الخيل أدرك ركضها لبسنا لها جلد الأساود والنمر، أي إذا بلغ بهم الأمر أن ركبوا على ظهور الخيل لأي طارئ إنما يركبونها وهم أسود كاسرة أو نمر ضارية، إذا هي أوردتهم ساحة القتال، وكأن الخيل تحمل الأسود والنمر على ظهورها لتقاتل بها أعدائها، فأصبحت هذه من أجمل صور البيان لأنها كناية عن نسبة وهي نسبة الشجاعة للخيل وفُرسانها وكأنها من سلالة الأسود والنمر لوجودها في معيتها.

٦ () المفضل الضبي، أمثال العرب، ت إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى،

١٩٨١م، ص ٨٥

٧ () أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، ت علي محمد البجادي، نهضة مصر للطباعة والنشر

والتوزيع، ص ٤١٦

أدب الخيل في الشعر والنثر والدين

قال عنتره بن شداد

هلا سألت الخيل يابنة مالك
لا تسأليني واسألني بي صحبتي
ولقد ذكرت والرماح نواهل مني
فتركت سيدهم لأول طعنة
والخيل تقتحم الخبار عوابسا
من بين شيطمة وأجرد شيطم

(8)

عنتره بن شداد من فرسان الجاهلية وأحد أصحاب المعلقة المشهورة يقول معتزاً بشجاعته: هلا سألت الخيل يابنة مالك إن كنت جاهلة بما لم تعلمي، يقول لها أسألني عن شجاعتني ولكن بأسلوب مجازي بسؤال الخيل وهي لا تجيب وإنما المطلوب أن تسأل عن عنتره أقرانه من الفرسان الذين رافقوه في الحرب ليبينوا لها شجاعته وثباته، فذكر المحل وأراد من فيه وهذا مجاز مرسل علاقته المحلية، ثم ذكر الشاعر الخيل في البيت الأخير لقوله: والخيل تقتحم الخبار عوابسا من بين شيطمة وأجرد شيطم، والخيل لا توجه نفسها بل توجه، وهي لا تقتحم بل يقحمها الفرسان الذين على ظهرها، وفي ذكر الخيل في هذا البيت استعارة عندما شبه الشاعر الخيل بالإنسان الذي يقرر خوض الحرب ويفعل ولكنه حذف المشبه به الفرسان ورمز له بلازمة من لوازمه وهي العبوس وتقطيب الوجه الذي لا يتأتى إلا من إنسان مدرك لنتائج الحرب ومخاطرها من الأهوال المحيطة، والاستعارة هنا ممكنة.

قال النمر بن تولب

تأبّد من أطلال عمرة مأسل،
فبرقة أزمام فجنبا متالع
لنا فرس من صالح الخيل نبتغي
رأت أمنا كيصاً يلفف وطبه
فلما رآته أمنا هان وجدها
وقد أفقرت منها شراء فيذبّل
فوادي سليل فالندي فأنجل
عليها عطاء الله، والله ينحل
إلى الأنس البادين، وهو مزمّل
وقالت: أبوكم هكذا كان يفعل

(9)

قال النمر بن تولب: لنا فرس من صالح الخيل نبتغي عليها عطاء الله، والله ينحل، ذكر الشاعر عطاء الله وهذا باب كبير لا ينقل، واستخدم الشاعر كلمة الخيل في المعنى الحقيقي الذي سخره الله تعالى لعباده من خلق الخيل وتذليلها للعباد، فكانت الخيل أعظم مفيد للناس في تسيير أمور عيشهم، وقبل ذكر الخيل ذكر الشاعر المحبوبة وأماكن سكنها وهذا من ذكر الأطلال، ثم ذكر بعد ذكر الخيل أهمهم في البيتين الأخيرين، ولا يذكر الشاعر أمه إلا من باب الغيرة، وأن تكون هذه الغيرة مشفوعة بذكر الخيل والديار فهذا من أكبر ما يثير حفيظة الفرسان من الشعراء ليكون شعرهم توثيقاً لأهم مراحل حياتهم. جاء في كتاب الأمثال لابن سلام: الخيل تجري على مساويها، وهو يعني إنها، وإن كانت بها أوصاب وعيوب، فإن كرمها مع هذا يحملها على الجري، فكذلك الحر من الرجال، يحمي حريمه على ما فيه من علة. وقال أبو زكريا الفراء: من أمثالهم في الحمية عند ذكر الحرم قولهم: كل شيء منه ما النساء

٨ () الشيباني، شرح المعلقة التسع، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ص ٢٤٠

٩ () أنه زيد محمد القرشي، جمهرة أشعار العرب، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ص ٢٦٤

أدب الخيل في الشعر والنثر والدين

وذكرهن، ونعني ذلك: إن الحر يحتمل كل شيء، حتى يأتي ذكر حرمة فيمتعض حينئذ، ولا يحتمله ومعنى المهة اليسير، ويقول: كل شيء جليل حين عند هذا، وفي هذا لغتان: مهة مهاه، وقال أبو عبيد: وهذه الهاء إذا اتصلت بكلام لم تصر تاء، إنما تكون التاء في الاتصال إذا أرادوا بالمهاة البقرة وقال عمران: فليس لعيشنا هذا مهاه وليس دارنا هاتا بدار. (10)

قال دريد بن الصمة

قَتَلَ أَمْرِي أَسَى أَخَاهُ بِنَفْسِهِ وَيَعْلَمُ أَنَّ الْمَرْءَ غَيْرُ مُخَلَّدٍ
فَطَاعَنْتُ عَنْهُ الْخَيْلَ، حَتَّى تَنَفَّسْتُ وَحَتَّى عَلَانِي حَالُكَ اللَّوْنِ أَسْوَدِي
تَنَادُوا، فَقَالُوا: أَرَدْتَ الْخَيْلُ فَارِسًا فَقُلْتُ: أَعْبَدُ اللَّهَ ذَلِكَكَ الرَّدِّي؟
فَإِنْ يَكُ عَبْدُ اللَّهِ خَلَى مَكَانَهُ فَمَا كَانَ وَقَافًا، وَلَا طَائِشَ الْيَدِ

(11)

ذكر دريد الخيل بقوله: فَطَاعَنْتُ عَنْهُ الْخَيْلَ، حَتَّى تَنَفَّسْتُ، والشاعر لا يريد مطاعنة الخيل في ذاتها وإنما يريد مطاعنة الفرسان الذين تحمّلهم الخيل، وهذا مجاز مرسل ذكر فيه الشاعر الخيل وظهورها وهي مكان جلوس الفرسان، وأراد الخيالة وهم الراكوبون على ظهورها من المقاتلين، وهذا المجاز علاقته المكانية، ومطاعنة الخيل من الفروسية التي يتدرب عليها المقاتلون وهي موضوع ذكر الخيل، وتكرر نفس المجاز في البيت الثالث عندما قال الشاعر: تَنَادُوا، فَقَالُوا: أَرَدْتَ الْخَيْلُ فَارِسًا، والخيل لا تردى وإنما يردي ويقتل من يحمل السلاح على ظهر الخيل وهو المكان الخاص بجلوس الفرسان، وعليه فإن المجاز مرسل علاقته المكانية، وموضوعه الفروسية والدفاع عن النفس ورد كيد الأعداء.

قال الجاحظ في كتابه الرسائل: المطاعنة على أبواب الخنادق وفي المضائق، لأصحاب الخيل والفرسان وعلى الخيل والفرسان تدور الجيوش، لهم الكر والفر، والفارس هو الذي يطوي الجيش طي السجل، ويفرقهم تفريق الشعر، وليس يكون الكمين إلا منهم ولا الطليعة ولا الساقة، وهم أصحاب الأيام المذكورة والحروب الكبار والفتوح العظام، ولا تكون المقانِب والكتائب إلا منهم، ومنهم من يحمل البنود والرايات، والطبول والتجافيف والأجراس، وهم أصحاب الصهيل والقتام، وزجر الخيل، وقعقة الريح. (12)

قال أبو الطيب المتنبي

الخيّل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم
أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم
سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا بأنني خير من تسعى به قدم

(13)

ذكر أبو الطيب الخيل بقوله: الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم، وقال هذا

١٠ () القاسم بن سلام البغدادي، الأمثال، ت دكتور عبد المجيد قطامش، دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ، ص ١٠٩.

١١ () جمهرة أشعار العرب (مرجع سابق) ص ٤٧٠.

١٢ () عمرو بن بحر بن الجاحظ، الرسائل الأدبية، دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ، ٥٣/١.

١٣ () شاكر بن مغامس بن محفوظ، نفح الأزهار في منتخبات الأشعار، ت اليازجي، المطبعة الأدبية، بيروت، ط الثالثة، ١٨٨٦م، ص ٧٥.

أدب الخيل في الشعر والنثر والدين

البيت في معرض الفخر والفروسية، وعندما ذكر الخيل قال إنها تعرفه إنما أراد بذلك معرفة الفرسان له لشجاعته وكثرة منازلته لهم، ولقد أطلق الخيل وهي التي تحمل الفرسان على ظهورها وأراد المحمول وهم الفرسان، ويكون بذلك قد ذكر المكان وأراد من فيه على سبيل المجاز المرسل والعلاقة المكانية. قال حاتم الطائي

وإني لمزجاء المطي على الوجي	وما أنا من خلّانك ابنة عفزرا
فلا تسأليني واسألني: أي فارس	إذا الخيل جالت في قنا قد تكسّرا
وإني لوهاب قطوعي وناقتي	إذا ما انتشيت، والكميت المصدرا
وإني كأشلاء اللجام، ولن ترى	أخا الحرب إلا ساهم الوجه أغبرا
أخو الحرب إن عضّت به الحرب عضّها	وإن شمّرت يوما به الحرب شمّرا

(14)

لقد ذكر الشاعر الخيل بمعناها الحقيقي في معرض الفخر والفروسية والحماسة بقوله: فلا تسأليني واسألني: أي فارس إذا الخيل جالت في قنا قد تكسّرا، أي يوم صولة وجولة الخيل في عرصات الوغى فلا تسأليني بل اسألني الشهود من الفرسان، ثم أفتخر بكرمه وشجاعته في الأبيات التالية ليكون موضوع الخيل: الفخر والفروسية.

قال أنس بن مُدْرِك الخثعمي

نَحْنُ جَلْبَنَّا الْخَيْلَ مِنْ غَرْبِ أَرْضِنَا	إِلَى جَنْبِ أَشْوَالِ فَدَاتِ بُصَاقِ
وَكَاثِنُ تَرَكْنَا فِي هَوَازِنَ مِنْ دَمٍ	إِلَى جَنْبِ أَشْوَالِ الْعَقِيقِ مُرَاقِ
وَأَرْمَلَةٌ تَسْعَى بِنَعْلَيْنِ طَلَّقَتْ	وَأُسَيَافُنَا أَذْنَهَا بِطَلَاقِ
أَعْنَتْهَا لِلَّهِ حَتَّى يَرُدَّهَا	بِمَا شَاءَ أَوْ يَشْقَى بِهِنَ أَشَاقِ

(15)

قال الشاعر مفتخرا ومباهيا أنهم جاءوا بالخيّل للحرب من أماكن بعيد إلى أماكن بعينها، وأراد بذلك أنهم حشدوا الخيل للحرب كما تحشد آليات الحرب اليوم من السارات والدبابات وغيرها، ثم قال مؤكدا ذلك أعنتها لله أي حشدت تلك الخيل في سبيل الله تعالى: أعنتها لله حتى يرُدّها بما شاء أو يشقى بهنّ أشاق، أي ليقضي الله أمرا كان مفعولا، تلکم خيل الجهاد في سبيل الله تعالى، فالخيّل جاءت بمعناها التقليدي.

جاء في آداب الفروسية أن عمر رضي الله عنه قال: ائتزروا وارشدوا وانتعلوا وألقوا الخفاف وارموا الأغراض وألقوا الرّكب وانزوا نزوا على الخيل وعليكم بالمعدية، أو قال العربية، ودعوا التنعم وزيّ العجم ولا تلبسوا الحرير فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنه إلا هكذا، ورفع إصبعيه، وقال أيضا: لن تخور قوى ما كان صاحبها ينزع وينزو، يعني ينزع في القوس وينزو على الخيل من غير

١٤ () عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣هـ، ١/٢٤٠

١٥ () حبيب بن أوس أبو تمام، الوحشيات الحماسة الصغرى، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة،

استعانة بالركب، وقال العمري: كان عمر بن الخطاب يأخذ بيده اليمنى أذنه اليمنى ويده اليسرى أذن فرسه اليسرى ثم يجمع جراميزه ويثب فكأنما خلق على ظهر فرسه، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم صفين: عضوا على التّواجد من الأضراس فإنه أنبى للسيوف. (16)
قالت مارة بنت الديان

قل للفوارس لا تثل أعيانهم من شر ما حذروا وما لم يحذر
التاركين أبا الحصين وراءهم والمسلمين صلاة بن العنبر
لما رأيت الخيل قد طافت به شبخت شحالك في عنان الأشقر
ولقد بكيت على شبابك حقبة حتى كبرت وليت ان لم تكبر
معشر الأبناء ان فزتم بها يا فوز الزبيرة جمعنا لم يثأر

(17)

حرضت الشاعرة قومها على الأخذ بالثأر وتعرضت لذكر الخيل بقولها: لما رأيت الخيل قد طافت به شبخت شحالك في عنان الأشقر، وهي تعني قارة الخيل التي تعرض لها قومها فاستعدوا لها حتى أن أحدهم يحلب ناقته وهو على ظهر فرسه وهو معنى شبخت شحالك أي حلبت لأن الشبخ معناه الحلب، حلبت النبايق الطوال وهن الشحال، ومعنى هذا أن الفرسان لا يفارقون ظهور خيلهم بل يقضون حوائجهم وهم في أهبة الاستعداد والاستنفار، وجاءت الخيل بمعناها الحقيقي وهو استعمالها في الحرب، وموضوعها الفروسية والحماسة، وهذا سبب وصية الشاعرة في أول بيت بقولها: قل للفوارس لا تثل أعيانهم من شر ما حذروا وما لم يحذر، وهذه من الوصايا التي ترفع الهمم ومن أكبر هم الفرسان امتلاك الخيل الجياد.

وللخيل منازل في الجودة والرداءة، ففي كتاب أدب الكاتب باب بعيوب الخيل ومنها: الخذا « في الأذن: استرخاء أصول الأذنين على الخدين. و » السَّعْفُ » بياضُ يعلو الناصية. و » القَنَا » احديداً يكون في الأنف، وذلك يكون في الهُجْن. و » السَّفَا » خفةُ الناصية، وهو مذمومٌ في الخيل، ومحمودٌ في البغال. و » العَمَمُ » أن تُغَطِّي الناصية عينيه. و » الإِغْرَابُ » ابيضاضُ الأشفار مع الزُّرْق و » القَصْرُ » غلظ في العنق. و » الجُسْأَةُ » يُبْسُ المَعْطَف. و » الكَتَفُ » انفراجٌ يكون في غَرَاضيبِ أعالي كَتفي الفرس، مما يلي الكاهل. و » الدَّنَنُ » طمأنينةٌ في أصل العنق، يقال: » فرسٌ أدنٌ » فإذا اطمأننت من وسطها فذلك » الهَنَعُ » يقال: » عُنُقٌ هَنَعاءُ «. و » الزُّورُ » في الصدر: دخول إحدى الفهدين وخروج الأخرى. و » الهَضْمُ » استقامة الضلوع ودخول أعاليها، يقال: » فرسٌ أهَضَمُ «. و » الإِخْطافُ » لحوق ما خلف المخزَم من بطنه، يقال: » فرسٌ مخْطَفُ «. (18)

ومن خلال وقوفنا على لفظ الخيل في الشعر والنثر وجدناه تناول الموضوعات التالية: الفخر، والمدح، والهجاء، والذم، ووصف المعركة والخيل بأنواعها، والفروسية والحماسة، والشجاعة والأخذ بالثأر،

- ١٦ () عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ، ٢١٦/١
١٧ () أحمد بن أبي طاهر ابن طيفور، بلاغات النساء، صححه أحمد الألفي، مطبعة مدرسة والده عباس الأول، القاهرة، ١٩٠٨م ص ١٧٢
١٨ () أدب الكاتب (مرجع سابق) ص ١٢١

والغارات والرباط والجهاد في سبيل الله ونصرة الدين والضعفاء، والدفاع عن النفس، وحملت أشعار العرب تعابير البيان من المجازات والاستعارات والتشبيهات والكنيات.

الخيال في القرآن الكريم والسنة النبوية

الخيال من أهم الدواب المذكورة في القرآن الكريم والسنة النبوية لدورها المتعاظم في الجهاد في سبيل الله، ولما أثبتته من فاعلية فائقة في السلم والحرب، ولقد ورد ذكر الخيل في القرآن تصريحاً باللفظ وتلميحاً بالإشارة، كما حفلت السنة بذكر الخيل ومنافعها وسيرها التاريخية الموثقة، وفيما يلي نتطرق لما جاء من ذكر الخيل.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثَ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ) (19)

جاء في المعنى: يُخَبِّرُ تَعَالَى عَمَّا زَيْنَ لِلنَّاسِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ أَنْوَاعِ الْمَلَذِّ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ، فَبَدَأَ بِالنِّسَاءِ لِأَنَّ الْفِتْنَةَ بِهِنَّ أَشَدُّ، كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضُرُّ عَلَى الرَّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ». فَأَمَّا إِذَا كَانَ الْقَصْدُ بِهِنَّ الْإِعْفَافَ وَكَثْرَةَ الْأَوْلَادِ، فَهَذَا مَطْلُوبٌ مَرْغُوبٌ فِيهِ مَدْنُوبٌ إِلَيْهِ، كَمَا وَرَدَتْ الْأَحَادِيثُ بِالْتَّرَغِيبِ فِي التَّزْوِيجِ وَالِاسْتِكْثَارِ مِنْهُ، «وَأَنَّ خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ كَانَ أَكْثَرُهَا نِسَاءً» وَقَوْلُهُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِهَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ، إِنَّ نَظَرَ إِلَيْهَا سِرَّتَهُ، وَإِنْ أَمَرَهَا أَطَاعَتْهُ، وَإِنْ غَابَ عَنْهَا حَفِظَتْهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهِ» وَقَوْلُهُ فِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ: «جُبَّ إِلَيَّ النِّسَاءُ وَالطَّيِّبُ وَجُعِلَتْ قِرَّةٌ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ» وَقَالَتْ عَائِشَةُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا الْخَيْلُ، وَفِي رَوَايَةٍ: مِنَ الْخَيْلِ إِلَّا النِّسَاءُ. وَحُبُّ الْبَنِينَ تَارَةً يَكُونُ لِلتَّفَاخُرِ وَالزَّيْنَةِ فَهُوَ دَاخِلٌ فِي هَذَا، وَتَارَةً يَكُونُ لَتَكْثِيرِ النَّسْلِ، وَتَكْثِيرِ أُمَّةٍ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَهَذَا مَحْمُودٌ مَدْحُوحٌ، كَمَا ثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ: «تَزَوَّجُوا الْوُدُودَ الْوُلُودَ، فَإِنِّي مُكَاثِّرٌ بِكُمْ الْأُمَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» وَحُبُّ الْمَالِ كَذَلِكَ تَارَةً يَكُونُ لِلْفَخْرِ وَالْخِيَلَاءِ وَالتَّكَبُّرِ عَلَى الضَّعَفَاءِ، وَالتَّجَبُّرِ عَلَى الْفُقَرَاءِ، فَهَذَا مَذْمُومٌ، وَتَارَةً يَكُونُ لِلنَّفَقَةِ فِي الْقَرَبَاتِ وَصَلَةِ الْأَرْحَامِ وَالْقَرَابَاتِ وَوُجُوهِ الْبِرِّ وَالطَّاعَاتِ، فَهَذَا مَدْحُوحٌ مَحْمُودٌ عَلَيْهِ شَرْعًا، وَقَدْ اخْتَلَفَ الْمَفْسِّرُونَ فِي مَقْدَارِ الْقَنْطَارِ عَلَى أَقْوَالٍ، وَحَاصِلُهَا: أَنَّهُ الْمَالُ الْجَزِيلُ. (20) مَوْضُوعُ الْخَيْلِ لِلزَّيْنَةِ وَالْفِتْنَةِ لِرَغْبَةِ النَّاسِ فِيهَا لِلْخِيَلَاءِ وَالتَّبَاهِي.

قال الله تعالى (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلُمُونَ) (21)

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَأَعِدُّوا لَهُؤُلَاءِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ، الَّذِينَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ عَهْدٌ، إِذَا خِفْتُمْ خِيَانَتَهُمْ وَعَدَرَهُمْ أَتَيْهَا الْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ۖ يَقُولُ: مَا أَطَقْتُمْ أَنْ تَعْدُوَهُ لَهُمْ مِنَ الْأَلَاتِ الَّتِي تَكُونُ قُوَّةً لَكُمْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّلَاحِ وَالْخَيْلِ. ۖ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ۖ يَقُولُ: تُخِيفُونَ بِأَعْدَادِكُمْ ذَلِكَ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ مِنَ الْمَشْرِكِينَ. وَبَنَحُوا مَا قَلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ، فَعَنَ عُقْبَةُ بْنُ

١٩ () آل عمران ١٤

٢٠ () إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ت سلامة، دار طيبة للنشر، ط الثانية ١٤٢٠هـ،

١٩/٢

٢١ () الأنفال ٦٠

عامر، قَالَ أَلَا وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ عَلَى الْمُنْبَرِ « قَالَ اللَّهُ: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ «أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ» ثلاثاً. (22) الخيل لعدة الحرب والتجهيز للغزو في سبيل الله.

قال الله تعالى (وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) (23) جاء في المعنى: وَالْخَيْلُ يَعْنِي: وَخَلَقَ الْخَيْلَ، وَهِيَ اسْمُ جِنْسٍ لَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ كَالْأَيْلِ وَالنِّسَاءِ، ﴿وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً، يَعْنِي وَجَعَلَهَا زِينَةً لَكُمْ مَعَ الْمَنَافِعِ الَّتِي فِيهَا. وَاحْتَجَّ بِهَذِهِ الْآيَةِ مِنْ حَرَمِ لَحُومِ الْخَيْلِ، وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ، فَقَالَ: هَذِهِ لِلرُّكُوبِ وَإِلَيْهِ ذَهَبَ الْحُكْمُ، وَمَالِكٌ، وَأَبُو حَنِيفَةَ. وَذَهَبَ جَمَاعَةٌ إِلَى إِبَاحَةِ لَحُومِ الْخَيْلِ، وَهُوَ قَوْلُ الْحَسَنِ، وَشَرِيحٍ، وَعَطَاءٍ، وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وَبِهِ قَالَ الشَّافِعِيُّ، وَأَحْمَدُ، وَإِسْحَاقُ. وَمَنْ أَبَاحَهَا قَالَ: لَيْسَ الْمُرَادُ مِنَ الْآيَةِ بَيَانُ التَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيمِ بَلِ الْمُرَادُ مِنْهُ تَعْرِيفُ اللَّهِ عِبَادَهُ نِعْمَةً وَتَنْبِيهُهُمْ عَلَى كِمَالِ قُدْرَتِهِ وَحِكْمَتِهِ، وَاحْتَجُّوا بِمَا جَاءَ عَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «نَهَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ خَيْبَرَ عَنِ لَحُومِ الْحَمْرِ وَرَخَّصَ فِي لَحُومِ الْخَيْلِ». وَعَنْ عَطَاءَ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ، عَنْ جَابِرٍ: أَنَّهُمْ كَانُوا يَأْكُلُونَ لَحُومَ الْخَيْلِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. (24) الْخَيْلُ لِلرُّكُوبِ وَالزَّيْنَةِ وَبَيَانِ حُكْمِ أَكْلِهَا.

قال تعالى (إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ) (25) جاء في المعنى التلميحى عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد أي الخيل، وكانت عشرين ألف فرس ذات أجنحة فعقرها، وعن ابن مسعود رضي الله عنه في قوله ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ قَالَ ﴿تَوَارَتْ﴾ مِنْ وَرَاءِ قَرْيَةٍ خَضِرَةِ السَّمَاءِ مِنْهَا، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا يَكَلِّمُ اعْظَامًا لَهُ فَلَقَدْ فَاتَتْهُ صَلَاةُ الْعَصْرِ وَمَا اسْتَطَاعَ أَحَدٌ أَنْ يَكَلِّمَهُ، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ ﴿عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾ يَقُولُ: مِنْ ذِكْرِ رَبِّي ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا﴾ يَقُولُ: جَعَلَ يَمْسَحُ أَعْرَافَ الْخَيْلِ وَعَرَاقِبَهَا، وَعَنْ أَبِي بَنْ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ قَالَ: قَطَعَ سَوْقَهَا وَأَعْنَاقَهَا بِالسَّيْفِ. (26) الْخَيْلُ لَذِكْرِ مِلْذَاتِ الدُّنْيَا مِنْ شَهَوَاتِ النَّفْسِ.

قال الله تعالى (وَالْعَادِيَاتُ ضَبْحًا) (27) جاء في تفسير الآية: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا فِي الْجُبْرِ جَالِسًا أَتَانِي رَجُلٌ فَسَأَلَنِي عَنْ ﴿الْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾، فَقُلْتُ: الْخَيْلُ حِينَ تُغَيَّرُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى اللَّيْلِ يَصْنَعُونَ طَعَامَهُمْ وَيُورُونَ نَارَهُمْ؛ فَانْتَقَلَ عَنِّي فَذَهَبَ إِلَيَّ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَهُوَ تَحْتَ سِقَايَةِ زَمْزَمَ، فَسَأَلَهُ عَنْ ﴿الْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾، فَقَالَ: سَأَلْتُ عَنْهَا أَحَدًا قَبْلِي، قَالَ: فَقَالَ: نَعَمْ، [سَأَلْتُ عَنْهَا] ابْنَ عَبَّاسٍ، فَقَالَ: الْخَيْلُ حِينَ تُغَيَّرُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛ قَالَ: أَذْهَبَ فَادْعُهُ لِي؛ فَلَمَّا وَقَفَ [عَلَى رَأْسِهِ] قَالَ:

٢٢ () ابن جرير الطبري، جامع البيان ط هجر، ت عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ، ٢٤٤/١١

٢٣ () النحل ٨

٢٤ () الحسين البغوي، معالم التنزيل، ت عبد الرزاق المهدي، إحياء التراث، بيروت، ط ١٤٢٠ هـ ١٠/٥

٢٥ () سورة ص ٣١

٢٦ () عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر، بيروت، ١٧٨/٧

٢٧ () العاديات ١

تُفتي النَّاسَ بِمَا لَا عِلْمَ لَكَ بِهِ، وَاللَّهِ، إِنْ كَانَتْ لِأَوَّلِ غَزْوَةٍ فِي الْإِسْلَامِ لَيْدَرٌ وَمَا [كَانَ مَعَنَا إِلَّا فَرَسَانِ]، فَرَسٌ لِلزُّبَيْرِ وَفَرَسٌ لِلْمُقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ، فَكَيْفَ تَكُونُ الْعَادَايَاتُ ضَبْحًا، إِنَّمَا الْعَادَايَاتُ ضَبْحًا مِّنْ عَرَفَةٍ إِلَى الْمَزْدَلْفَةِ وَمِنَ الْمَزْدَلْفَةِ إِلَى مَنَى. (28) الخيل لبيان الأحكام الشرعية من مناسك الحج.

ومن خلال وقوفنا على معاني الخيل وورودها في القرآن الكريم تصريحاً وتلميحاً نجدها جاءت بالموضوعات التالية: التباهي والخيلاء والفتنة، إعداد العدة والتجهيز للغزو والحرب، الركوب والزينة، ملذات الدنيا وشهوات النفس، بيان الأحكام الشرعية، وكل ذلك لإعمار الأرض والتنمية البشرية.

لقد ورد ذكر الخيل في السنة المطهرة لمعان متعددة وأغراض كثيرة، وفيما يلي نقف على تلك المعاني. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْخَيْلُ لِرَجُلٍ أَجْرٌ، وَلِرَجُلٍ سِتْرٌ، وَعَلَى رَجُلٍ وَزْرٌ، فَأَمَّا الَّذِي لَهُ أَجْرٌ: فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَأَطَالَ بِهَا فِي مَرْجٍ أَوْ رَوْضَةٍ، فَمَا أَصَابَتْ فِي طَبْلِهَا ذَلِكَ مِنَ الْمَرْجِ أَوْ الرَّوْضَةِ كَانَتْ لَهُ حَسَنَاتٌ، وَلَوْ أَنَّهُ انْقَطَعَ طَبْلُهَا، فَأَسْتَنْتَ شَرَفًا أَوْ شَرَفَيْنِ كَانَتْ أَثَارُهَا، وَأَرَوَّاثُهَا حَسَنَاتٌ لَهُ، وَلَوْ أَنَّهَا مَرَّتْ بِنَهْرٍ، فَشَرِبَتْ مِنْهُ وَلَمْ يَرُدَّ أَنْ يَسْقِيَ كَانَ ذَلِكَ حَسَنَاتٍ لَهُ، فَهِيَ لِذَلِكَ أَجْرٌ، وَرَجُلٌ رَبَطَهَا تَغْنِيًا وَتَعَفُّفًا ثُمَّ لَمْ يَنْسَ حَقَّ اللَّهِ فِي رِقَابِهَا وَلَا ظُهُورِهَا، فَهِيَ لِذَلِكَ سِتْرٌ، وَرَجُلٌ رَبَطَهَا فَخْرًا وَرِيَاءً وَنِوَاءً لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَهِيَ عَلَى ذَلِكَ وَزْرٌ. (29) الخيل لبيان المنزلة والتوظيف.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «سَابَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ الْخَيْلِ الَّتِي قَدْ أَضْمَرْتُ، فَأَرْسَلَهَا مِنَ الْخَفِيَاءِ، وَكَانَ أَمْدُهَا ثَنِيَّةَ الْوَدَاعِ فَقُلْتُ لِمُوسَى: فَكَمْ كَانَ بَيْنَ ذَلِكَ؟ قَالَ: سِتَّةَ أَمْيَالٍ أَوْ سَبْعَةَ وَسَابَقَ بَيْنَ الْخَيْلِ الَّتِي لَمْ تُضْمَرْ، فَأَرْسَلَهَا مِنْ ثَنِيَّةِ الْوَدَاعِ وَكَانَ أَمْدُهَا مَسْجِدَ بَنِي زُرَيْقٍ» قُلْتُ: فَكَمْ بَيْنَ ذَلِكَ؟ قَالَ: مِيلٌ أَوْ نَحْوُهُ، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ مِّنْ سَابِقٍ فِيهَا. (30) الخيل للسباق لمعرفة الجيد منها (الضامر) وموضوعها اتخاذ العدة في سبيل الله وتوظيفها في محل الإشارة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «رَأْسُ الْكُفْرِ نَحْوُ الْمَشْرِقِ، وَالْفَخْرُ وَالْخِيَلَاءُ فِي أَهْلِ الْخَيْلِ وَالْإِيلِ الْفَدَّادِينَ، أَهْلُ الْوَبْرِ وَالسَّكِينَةِ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ» (31) الخيل للفخر والخيلاء، وبيان فضلها.

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ سَفَرٍ، وَقَدْ سَتَرْتُ عَلَى بَابِي دُرُوكًا فِيهِ الْخَيْلُ ذَوَاتُ الْأَجْنَحَةِ، فَأَمَرَنِي فَنَزَعْتُهُ» (32) لإزالة المنكر ووصون الشرع. عَنْ أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «خَيْرُ الْخَيْلِ الْأَذْهَمُ، الْأَقْرَحُ، الْمُحَجَّلُ، الْأَرْتَمُ طَلِقَ الْيَدِ الْيُمْنَى، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَذْهَمَ فَكَمَيْتٌ عَلَى هَذِهِ الشَّيْءِ» (33) الخيل لبيان المنزلة والوصف.

٢٨ () عبد الله بن وهب بن مسلم، تفسير القرآن من الجامع، ت ميكلوش موراني، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م، ٢/٧٠

٢٩ () محمد إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ت ناصر الناصر، طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ، ١٣/٣ رقم ٧٣٢١

٣٠ () المرجع السابق ٣١/٤ رقم ٢٨٧٠

٣١ () مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، ت محمد فؤاد، دار التراث العربي، بيروت، ١/٧٢ رقم ٨٥ (٥٢)

٣٢ () المرجع السابق ١٦٦٧/٣ رقم ٩٠ (٢١٠٧)

٣٣ () ابن ماجة محمد بن يزيد، سنن ابن ماجة، ت محمد فؤاد، دار الكتب العربية، فيصل الحلبي، ٩٣٣/٢ رقم ٢٧٨٩

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: أَفَاضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ عَرَفَةَ وَعَلَيْهِ السَّكِينَةُ وَرَدِيْفُهُ أُسَامَةُ، وَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، عَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ، فَإِنَّ الْبِرَّ لَيْسَ بِأَيِّجَافِ الْخَيْلِ وَالْإِيلِ» قَالَ: فَمَا رَأَيْتُهَا رَافِعَةً يَدَيْهَا عَادِيَةً حَتَّى أَتَى جَمْعًا، زَادَ وَهَبٌ ثُمَّ أَرَدَفَ الْفُضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ، وَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الْبِرَّ لَيْسَ بِأَيِّجَافِ الْخَيْلِ وَالْإِيلِ فَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ» قَالَ: فَمَا رَأَيْتُهَا رَافِعَةً يَدَيْهَا حَتَّى أَتَى مِنْى. (34) الْخَيْلُ لِبَيَانِ أَحْكَامِ الشَّرْعِ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا دَخَلَ مَكَّةَ سَرَحَ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ، وَأَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ، وَخَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ عَلَى الْخَيْلِ، وَقَالَ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، اهْتَفِ بِالْأَنْصَارِ» قَالَ: «اسْلُكُوا هَذَا الطَّرِيقَ فَلَا يَشْرَفُنَّ لَكُمْ أَحَدٌ، إِلَّا أَنْتُمُوهُ» فَنَادَى مُنَادٌ: لَا قَرِيشَ بَعْدَ الْيَوْمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ دَخَلَ دَارًا فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَلْقَى السِّلَاحَ فَهُوَ آمِنٌ»، وَعَمِدَ صِنَادِيدُ قَرِيشَ، فَدَخَلُوا الْكَعْبَةَ فَعَصَّ بِهِمْ، وَطَافَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَصَلَّى خَلْفَ الْمَقَامِ، ثُمَّ أَخَذَ بَجَنْبَتِي الْبَابِ فَخَرَجُوا فَبَايَعُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْإِسْلَامِ. (35) الْخَيْلُ لِبَسْطِ الْأَمْنِ وَحِسْمِ الْمَارِقَيْنِ عَنِ الدِّينِ، وَمَوْضُوعِهَا إظهار الدين.

عَنْ عُرْوَةَ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْخَيْرُ؟ قَالَ: «الْأَجْرُ وَالْمَغْنَمُ» (36) الْخَيْلُ لِبَيَانِ الْخَيْرِ وَالْمَدْحِ. عَنْ عَبَّاسِ بْنِ سَهْلٍ الْأَنْصَارِيِّ ثُمَّ السَّاعِدِيِّ، كَذَا قَالَ: عَنْ أَبِيهِ، أَوْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَأَنْ أَصْلِيَ الصُّبْحَ، ثُمَّ أَجْلِسَ فِي مَجْلِسِي فَأَذْكُرَ اللَّهَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ شِدِّ عَلَى جِيَادِ الْخَيْلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» (37) الْخَيْلُ لِبَيَانِ فَضْلِ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَمَوْضُوعِهَا عِبَادَةُ اللَّهِ وَحْدَهُ.

عَنْ أُسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ قَالَتْ: لَمَّا وَقَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذِي طُوًى قَالَ أَبُو قَحَافَةَ لِأَصْغَرَ بَنَاتِهِ: أَظْهَرَنِي عَلَى الْجَبَلِ، وَكَانَ يَوْمُئِذٍ أَعْمَى، قَالَتْ: فَأَشْرَفْتُ بِهِ عَلَيْهِ فَقَالَ: مَا تَرَيْنِ؟ فَقَالَتْ: سَوَادًا مَجْتَمِعًا، فَقَالَ: تِلْكَ وَاللَّهِ الْخَيْلُ، قُلْتُ: وَأَرَى بَيْنَ يَدَيْ ذَلِكَ السَّوَادِ رَجُلًا يَسْعَى مُقْبِلًا وَمُدْبِرًا، فَقَالَ: ذَلِكَ الْوَارِعُ، وَكَانَ الْوَارِعُ يَوْمُئِذٍ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي قَحَافَةَ، فَقُلْتُ: وَأَرَى أَنَّ ذَلِكَ السَّوَادَ قَدْ انْتَشَرَ، فَقَالَ: قَدْ وَاللَّهِ دَفَعَتِ الْخَيْلُ، فَاسْرَعِي، فَانْحَدَرْتُ بِهِ مِنَ الْجَبَلِ، وَتَلَقَّيْتُهُ الْخَيْلَ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَى بَيْتِهِ، وَكَانَ فِي عُنُقِ الْحَارِيَةِ طَوْقًا لَهَا مِنْ وَرَقٍ فَمَرَّ عَلَيْهَا رَجُلٌ فَاقْتَطَعَهُ مِنْهَا، فَلَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَسْجِدَ، وَاطْمَأَنَّ، جَاءَ أَبُو بَكْرٍ بِأَبِيهِ يَقُودُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلَا تَرَكْتُ الشَّيْخَ فِي بَيْتِهِ حَتَّى كُنْتُ آتِيهِ فِي بَيْتِهِ»، فَقَالَ: بَلْ هُوَ أَحَقُّ أَنْ يَمْشِيَ إِلَيْكَ مِنْ أَنْ تَمْشِيَ إِلَيْهِ، فَأَجْلَسَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَقَالَ لَهُ: «أَسْلَمْتَ تَسْلَمُ»، فَأَسْلَمَ، ثُمَّ قَامَ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ بِيَدِ أَخْتِهِ الَّتِي كَانَتْ صَعِدَتْ بِأَبِي قَحَافَةَ الْجَبَلِ، فَقَالَ: أَنْشُدْكَ اللَّهَ وَالْإِسْلَامَ، طَوْقُ أَخْتِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَلَمْ يَجِبْهُ أَحَدٌ، فَقَالَ: يَا أُخِيَّةُ، احْتَسِبِي، فَوَاللَّهِ إِنْ الْأَمَانَةَ فِي النَّاسِ لَقَلِيلَةٌ. (38) الْخَيْلُ لِتَقْيِيمِ الْجَيْشِ، وَمَوْضُوعِهَا شِدَّةُ سُرْعَتِهَا.

٣٤ () أبو داود سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، ت محمد محيي الدين، المكتبة العصرية صيدا، ١٩٠/١ رقم ١٩٢٠

٣٥ () المرجع السابق ١٦٣/٣ رقم ٣٠٢٤

٣٦ () نفس المرجع ٣٨٤/٢ رقم ١١٥٢

٣٧ () عبد الرزاق الصنعاني، المصنف، ت الأعظمي، المجلس العلمي، الهند، المكتب الإسلامي، بيروت، ٢٠٢٧ هـ، ١٤٠٣ هـ، ٥٣٠/١ رقم ٢٠٢٧

٣٨ () اسحق بن راهويه، مسند بن راهويه، مسند ابن عباس، ت محمد ضرار، الكتاب العربي، ط١، ١٣١/٥ رقم ٢٢٤٥

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَتْنَا يَحْيَى، عَنْ إِسْمَاعِيلَ قَالَ: حَدَّثَنِي قَيْسٌ، قَالَ لِي جَرِيرٌ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا تَرِيحُنِي مِنْ ذِي الْخَلَصَةِ» وَكَانَ بَيْتًا فِي خَثْعَمٍ يُسَمَّى كَعْبَةَ الْيَمَانِيَّةِ، قَالَ: فَانْطَلَقْتُ فِي خَمْسِينَ وَمِائَةِ فَارِسٍ مِنْ أَحْمَسَ قَالَ: وَكَانُوا أَصْحَابَ خَيْلٍ، فَأُخْبِرْتُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنِّي لَا أَتُبْتُ عَلَى الْخَيْلِ، فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، حَتَّى رَأَيْتُ أَثَرَ أَصَابِعِهِ فِي صَدْرِي قَالَ: «اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ، وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا»، فَانْطَلَقَ إِلَيْهَا فَكَسَرَهَا وَحَرَّقَهَا، فَأَرْسَلَ إِلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُبَشِّرُهُ، قَالَ: يَغْلَى فِي هَذَا الْحَدِيثِ: ثُمَّ بَعَثَ حُصَيْنَ بْنَ رَبِيعَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُبَشِّرُهُ، فَقَالَ رَسُولُ جَرِيرٍ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا جِئْتُكَ حَتَّى تَرَكْتُهَا كَأَنَّهَا جَمَلٌ أَجْرُبُ، فَبَارَكَ عَلَى خَيْلٍ أَحْمَسَ وَرِجَالِهَا خَمْسَ مَرَّاتٍ. (39) الخيل لتنفيذ المهام السريعة، وموضوعها الإعمار ونصرة الدين.

عَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا عَلِيُّ أَسْبِغِ الْوُضُوءَ وَإِنْ شَقَّ عَلَيْكَ، وَلَا تَأْكُلِ الصَّدَقَةَ، وَلَا تَنْزِ الْحَمِيرَ عَلَى الْخَيْلِ، وَلَا تَجَالِسْ أَصْحَابَ النُّجُومِ» (40) الخيل لعراقة النسل وصونه.

عَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّا قَدْ عَفَوْنَا لَكُمْ عَنْ الْخَيْلِ وَالرَّقِيقِ، فَأَذُوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ مِنْ كُلِّ أَرْبَعِينَ دَرْهَمًا دَرْهَمًا» (41) الخيل لبيان حكم الزكاة، وموضوعها إظهار الإسلام. عَنْ أَبِي لَبِيدٍ، قَالَ: «أَجْرِيَتِ الْخَيْلُ فِي زَمَنِ الْحُجَّاجِ وَالْحَكَمِ بْنِ أَيُّوبَ عَلَى الْبَصْرَةِ فَاتَيْنَا الرِّهَانَ، فَلَمَّا جَاءَتِ الْخَيْلُ، قَالَ: قُلْنَا: لَوْ مَلْنَا إِلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ فَسَأَلْنَاهُ: أَكَانُوا يُرَاهِنُونَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: فَاتَيْنَاهُ وَهُوَ فِي قَصْرِهِ فِي الزَّوَاوِيَةِ. فَسَأَلْنَاهُ فَقُلْنَا لَهُ: يَا أَبَا حِزْمَةَ أَكُنْتُمْ تُرَاهِنُونَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُرَاهِنُ؟ قَالَ: «نَعَمْ، لَقَدْ رَاهَنَ وَاللَّهِ عَلَى فَرَسٍ لَهُ يُقَالُ لَهُ سَبْحَةُ، فَسَبَقَ النَّاسَ، فَأَنْهَشَ لَذْلِكَ، وَأَعْجَبَهُ» قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: أَنْهَشَهُ: يَعْنِي: أَعْجَبَهُ. (42) الحديث لبيان رهان الخيل، وموضوعها الإعداد والتدريب والقوة.

ومن خلال وقوفنا على معاني الخيل في السنة المطهرة نجد أنها جاءت لبيان منازل الخيل وفضلها، وإعدادها للسباق والفروسية والغزو في سبيل الله، والفخر والخيلاء وإزالة المنكر وبيان الشرع، وبسط الأمن وإظهار قوة الدين، والمدح والعبادة، وتقويم الجيوش وتنفيذ المهام السريعة، وإعمار الأرض ونصرة الدين، وبيان رفعة النسل، وأحكام الزكاة وإظهار الإسلام والرهان والتدريب، وإعمار الأرض وخدمة الإنسانية.

٣٩ () أحمد بن محمد بن حنبل، فضائل الصحابة، ت وصي الله ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الأولى،

١٤٠٣هـ، ٢/٨٩١ رقم ١٦٩٤

٤٠ () أحمد بن حنبل، المسند مخرجا، ت شعيب الأرنؤوط، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط الأولى،

١٤٢١هـ، مخرجا ٢٢/٢ رقم ٥٨٢

٤١ () عبد الحميد بن حميد بن نصر، المنتخب، ت صبحي السامرائي، الصعيدي، مكتبة السنة، القاهرة،

الطبعة الأولى، ١٩٨٨م، ص ٥١

٤٢ () عبد الله الدارمي، سنن الدارمي، ت سليم أسد، دار المغني، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ،

٢٤٧٤/٣ رقم ١٥٧٦

الخاتمة:

وقف البحث على أدب الخيل في الشعر والنثر والقرآن والسنة وتتبع أهمية الخيل في الحياة الإنسانية وعظم دولارها في إعمار الأرض والتنمية البشرية، وتشبيد الحضارات وتأسيس الدول والممالك والخلافات، وإرساء قواعد الإسلام ورفع رايته، فكانت الخيل رمز الحرية وركن العدالة وشعار الكرامة والسلام والإسلام، وروح الأمن والاستقرار، تعتبر الخيل القاعدة الكبرى لمنظومة الدفاع والتسلح لدي الشعوب، وعملت الخيل على تأمين البلدان وحماية الثغور، وإقامة الشرائع وصون النظم والقوانين، وتوطيد الحكم ورفع المظالم ورعاية أهداف الإنسانية لصيانة المقاصد الشرعية في الإسلام، وكانت الخيل محل الاهتمام الرسمي والشعبي، فهي رمز الفروسية والتفاخر، ولقد جرى استخدام الخيل عبر العصور في السلم والحرب ونهضة الدول وكانت أسرع مركوب من الحيوانات وما زالت، فقد استخدمت في البريد ونقل الخلفاء والنجدة، والإشارة ورد العدو وإرهابه، والسلب والنهب، ومكانة الخيل الاجتماعية فقد وجدت اهتماما من الشعراء والخطباء والكتاب فجعلوها في معاني البيان من المجازات والاستعارات والتشبيهات والكنيات، وشملت موضوعات الخيل: المدح والفخر والذم والوصف والفروسية والحماسة والأطلال والنسيب، وحفلت الأسفار الأدبية عبر التاريخ بالمعاني البلاغية التي جاء بها الشعر العربي وخاصة في العصر الجاهلي وتقاليده، وفي صدر الإسلام ازداد الاهتمام بالخيل مع بروز الحاجة الملحة لحفظ أركان الدولة لإقامة العدل وصون الدين الإسلامي، وحفلت السير والتفاسير والسنن بتلك المعاني، وما زالت الحاجة ماسة لاستخدام الخيل في رعاية المصالح الإنسانية في كثير من الأمصار، وجاءت معاني الخيل في القرآن الكريم للتباهي والخيلاء والفتنة، وإعداد العدة والتجهيز للغزو والحرب، والركوب والزينة، وملذات الدنيا وبيان الأحكام الشرعية، وجاءت معاني الخيل في السنة لبيان منازل الخيل وفضلها، وإعدادها للسباق والفروسية والتجهيز للغزو والفخر والخيلاء، وإزالة المنكر وبيان أحكام الشريعة، وبسط الأمن وإظهار قوة الدين، والمدح والذكر والعبادة، وتقويم الجيوش وتنفيذ المهام السريعة، وبيان رفعة النسل، وأحكام الزكاة والحج والرهان والقوة والتدريب.

أهم النتائج

للخيل دور كبير في الحياة الإنسانية وإعمار الأرض والتنمية البشرية، وتشبيد الحضارات. الخيل رمز الحرية والعدالة وروح الأمن والاستقرار، وإقامة الشرائع وأركان الإسلام. الخيل لتنفيذ المهام الصعبة فقد استخدمت في البريد ونقل الخلفاء والنجدة، والإشارة. استخدم الأدباء الخيل في مباحث البيان للمدح والفخر والوصف والفروسية والأطلال والنسيب. معاني الخيل في القرآن للتباهي والخيلاء والفتنة، والغزو، والركوب والزينة، وملذات الدنيا. الخيل في السنة لبيان منازلها والغزو والفخر والمدح وإزالة المنكر وبسط الأمن والرهان.

التوصيات

الإطلاع على الشعر وتتبع مكانة الخيل لدى العرب وخاصة في الجاهلية. الوقوف على القرآن الكريم ومعرفة عنايته بالخيل وأدائها الإسلامية. تتبع السيرة النبوية للوقوف على عناية الإسلام بالخيل.

المصادر والمراجع

- القرآن العظيم
ديوان امرؤ القيس
ابن قتيبة الدينوري، أدب الكاتب، ت محمد الدالي، مؤسسة الرسالة.
ديوان طرفة بن العبد .
ديوان لبيد بن ربيعة العامري.
ديوان عمرو بن كلثوم.
المفضل الضبي، أمثال العرب، ت إحسان، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1981م.
أبو زيد محمد بن القرشي، ت علي محمد البجادي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
الشيباني، شرح المعلقات التسع، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الأولى، 1422هـ.
أبو زيد محمد القرشي، جمهرة أشعار العرب، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
ابن سلام البغدادي، الأمثال، ت قطامش، دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى، 1400هـ.
عمرو بن بحر الجاحظ، الرسائل الأدبية، دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الثانية، 1423هـ.
ابن محفوظ، نفح الأزهار منتخبات الأشعار، اليازجي، المطبعة الأدبية، بيروت، ط3، 1886م.
عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء، دار الحديث، القاهرة، 1423هـ.
حبيب بن أوس أبو تمام، الوحشيات الحماسة الصغرى، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة.
عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ.
أحمد بن طيفور، بلاغات النساء، صححه أحمد الألفي، مطبعة والدة عباس، القاهرة، 1908م.
إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ت سلامة، دار طيبة للنشر، ط الثانية 1420هـ.
ابن جرير الطبري، جامع البيان ط هجر، ت التركي، دار هجر للطباعة ط الأولى 1422هـ.
الحسين البغوي، معالم التنزيل، ت عبد الرزاق، إحياء التراث، بيروت، ط1 1420هـ.
عبد الرحمن بن أبي بكر، السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر، بيروت.
عبد الله بن وهب بن مسلم، تفسير القرآن من الجامع، ت موراني، دار الغرب، ط1، 2003م.
محمد إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ت ناصر الناصر، طوق النجاة، ط1، 1422هـ.
مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، ت محمد فؤاد، دار التراث العربي، بيروت.
ابن ماجة محمد بن يزيد، سنن ابن ماجة، ت محمد فؤاد، دار الكتب العربية، فيصل الحلبي.
أبو داود سليمان بن الأشعث، سنن أبي داؤود، ت محمد محيي الدين، المكتبة العصرية صيدا.
الصنعاني، المصنف، ت الأعظمي، المجلس العلمي، المكتب الإسلامي، بيروت ط2، 1403هـ.
اسحق بن راهويه، مسند إسحاق بن راهويه ت محمد ضرار، الكتاب العربي ط1 1423هـ.
أحمد بن حنبل، فضائل الصحابة، ت وصي الله، الرسالة، بيروت، ط الأولى، 1403هـ.
أحمد بن حنبل، المسند مخرجات شعيب الأرئوط، وآخرون، الرسالة، ط الأولى، 1421هـ.
عبد الحميد نصر المنتخب، ت السامرائي الصعيدي، مكتبة السنة، القاهرة، ط الأولى 1988م.
عبد الله الدارمي، سنن الدارمي، ت سليم أسد، دار المغني، السعودية، ط الأولى، 1412هـ.